الوساطة والمحسوبية والرّشوة
عوامل هدم وإحباط يجب القضاء عليها

الجمعة ٢١ من المحرم ١٤٣٦هـ - ١٤ من نوفمبر ٢٠١٤م

أولا : العناصر :

١- موقف الإسلام من الوساطة.

٢- الوساطة والمحسوبية والرشوة سلوكيات مرفوضة

٣- الإسلام يحارب المحسوبية.

٤- أضرار الرشوة والمحسوبية بالمجتمع.

ثانيًا : الأدلـة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١-قال تعالى : { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الروم ٤١] .

٢-وقال تعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } [المؤمنون ١١٥– ١١٦] .

٣-قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥].

٤-وقال تعالى: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا * إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [النساء: ٨٥].

٥-وقال تعالى:{ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة: ١٨٨].

٦-وقال تعالى: { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}[المائدة : ٤٢].

الأدلة من السـنة :

١- عَن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ» (رواه الحاكم).

٢-و عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالَ ، وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالُوا ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ

حِبُّ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).(متفق عليه).

٣-وعن أَبِي بُرْدَةَ بْن أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما)، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ : (اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَا شَاءَ). (رواه البخاري).

٤-وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ» (مسند أحمد).

٥-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ ، قَالَ أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ ، عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) (صحيح البخاري).

٦-وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخَانَ رَسُولَهُ وخَانَ الْمُؤْمِنِينَ» (مستدرك الحاكم).

٧-وعن ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ) يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا(مسند أحمد).

٨-وعن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ : فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرُ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ - اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا. (رواه البخاري).

ثالثًا : المــوضــــوع

فإن المتأمل بعين الحقيقة لمبادئ الشريعة الإسلامية يرى أنها صمام أمان لكافة أمور الحياة ، لأنها تقوم على أسس العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، فما أجمل الحياة في ظل شريعة الله ، وإتقان العمل طاعة لله ورغبة في بناء الوطن ، ومحاربة السلوكيات المرفوضة ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

ومن السلوكيات التي انتشرت بين بعض الناس والتي تدمر الأفراد والجماعات وتوقد نار البغضاء والحسد : (الوساطة، والمحسوبية ، والرشوة) ، فهي داء عضال تفشّى في المجتمعات ومظهر من مظاهر الفساد يجب التصدي له قال تعالى : { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الروم ٤١] .

جدير بالذكر أن هذه السلوكيات تؤثر في المجتمع تأثيرًا سلبيًّا ، و تنخر في جسد المجتمع حتى تهدم بنيانه ، ذلك لأنها سلوكيات تهدم قيمة ناصعة من قيم الإسلام، وهي تلك القيمة التي ما خلقت السموات والأرض ولا قامت إلا بها ، وهي قيمة الحق قال تعالى:

{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَق}[الحجر: ٨٥]. وذلك لأنّ هذه السُّلوكيات تبطل الحق و تحق الباطل.

لأجل هذا حرم الإسلام التعامل بها ؛ لما فيها من ظلم الناس وعدم إقامة العدل بينهم،ولما فيها من تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، وكذلك عدم الوفاء بالأمانة وهي إسناد الأمر إلى غير أهله، فعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم): (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ) .

* أولى هذه السلوكيات التي انتشرت هذه الأيام في كثير من الأمور (الوساطة) ، فلا يكاد الإنسان يصل إلى حق من الحقوق أو أمر يريده إلا بواسطة ، وهي ظاهرة اجتماعية موجودة منذ القدم ، فقد جاء في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالَ ، وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالُوا ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).

لقد ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك مثالا رائعا لكلِ من يأتي بعده من حكام وقضاة وولاة ، فما أحرانا بالاقتداء به (صلى الله عليه وسلم) في هذا الأمر وفى غيره.

والوساطة تعني الشفاعة، والشفاعة إما محمودة ، وإما مذمومة. فالمحمودة هي: مساعدة كل محتاج للوصول إلى هدف مشروع من حقه أن يحصل عليه لكنه لا يملك الوسائل التي توصله إليه شريطة أن لا يلحق الضرر بالآخرين.

وهذه هي الشفاعة الحسنة التي قال الله تعالى فيها : {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا}[النساء: ٨٥]، وفي صحيح البخاري قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ).

وأما المذمومة فهي : مساعدة الإنسان لحصوله على حق لا يستحقه أو إعفائه من حق يجب عليه دفعه مما يلحق الضرر بالآخرين. وهذه هي الشفاعة السيئة التي قال الله تعالى عنها: {وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا}[النساء: ٨٥].

فالوساطة إن كانت لأجل إحقاق حق أو كشف ظلم وباطل فهي شفاعة حسنة وهي التي جاء بفضلها الآيات والأحاديث ، أما عكس ذلك بمعنى أن يقوم الإنسان بالشفاعة لأجل رد حق وإبطاله أو تثبيت باطل أو منع إنسان حقه الشرعي لأجل مصلحة إنسان آخر فهي لا شك وساطة سيئة، وهي من الظلم والعدوان ، وبسببها يُحرم كثير من الناس من حقوقهم الشرعية ، ويُوضع أناس في غير ما يستحقون من الأماكن والمناصب مع أنهم لا يمتلكون المؤهلات التي تؤهلهم لذلك ، وهناك من هو أفضل منهم ، والله عز وجل يقول:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[الأحزاب:٥٨]، وقال سبحانه: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}[الشعراء: ٢٢٧].

أمَا عَلِمَ من يشفع لغير مستحق أنه يشهد زورًا وبهتانًا وسيسأل أمام الله عن شهادته وشفاعته قال تعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } [المؤمنون ١١٥– ١١٦] .

وإذا كان ديننا الإسلامي الحنيف وقيمنا الأصيلة تؤكد أن الناس سواسية فإن ظاهرة الوساطة المذمومة أحد مظاهر الفساد التي تنسف مبدأ المساواة والعدالة وتهدر إمكانات الموهوبين أو المتميزين ، وتعتبر معول هدم ينخر في بنيان المجتمع ، وهي أخطر ما يهدد استقراره وتقدمه .

ومن ثم فإن الوساطة المذمومة سلوك خاطئ غير سوي، وهو أمر محرم من الناحية الشرعية ومن الناحية الاجتماعية ويؤدي إلى تدمير عملية التفاعل الاجتماعي وفقدان الثقة والشعور بخيبة الأمل وبالتالي زيادة مشاعر الغيرة والحقد والعداء.

* ثاني هذه السلوكيات المرفوضة (المحسوبية) ، التي انتشرت في الوقت الحاضر انتشاراً واسعاً ، حتى أصبح الإنسان لايستطيع الحصول على حقه إلا بها .

إن المحسوبية تُعد من الأمراض المعنوية الخطيرة التي تفسد الحياة ، وهي نوع من أنواع الظلم.. سواء ظلم الإنسان لنفسه أم للآخرين، مع أن الإسلام لا يعرف المحسوبية ولا يعرف المحاباة ، فالناس جميعا في تشريعات الإسلام سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أحمر أو أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ، فالبشرية كلها سواء في عرف الإسلام ، خلقوا جميعا من أصل واحد أبوهم آدم عليه السلام وأمّهم حواء.. فلا تفاضل بين بني البشر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات:١٣]. وفي الحديث أن رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ» (مسند أحمد).

ومن هذا المنطلق نرى الإسلام لا يفرق بين سيد ومسود ولا بين حاكم ومحكوم ، الكل أمام تشريعات الله سواء ، فلابد من تحقيق العدل بينهم ، فلا محاباة ولا محسوبية في الإسلام ولا عند حكام الإسلام.

ولقد وقف سيدنا على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) أمام القاضي مع خصمه اليهودي وهو أمير المؤمنين يومها، وإذ بالقاضي ينادي على أمير المؤمنين بكنية أبى الحسن فيقول: يا أبا الحسن ، وينادى اليهودي باسمه. فيقول أمير المؤمنين على (رضي الله عنه): والله ما عدلت أيها القاضي ، لقد ناديت على خصمي باسمه ، وناديتني بكنيتي ولقبي فقلت: يا أبا الحسن ، وإنه يجب عليك أن تسوي بيننا في الكنى والألقاب.

نعم إنّ الإسلام لا يعرف المحاباة ولا يقر المحسوبية، لقد تعلم الصحابة هذا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ففي حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مواقف حطم فيها كل مظاهر المحسوبية والمحاباة حتى مع أقرب الناس إليه ، كما حدث في شأن المرأة المخزومية ، فالإسلام لا يحابى ولا يجامل أحدًا على حساب أحد في الحق والحقيقة. فكم

من حقوق سُلبت ، وكم من أموال ضُيعت ، وكم من نفوس أُزهقت وضاع دمها هدراً بسبب تفشي المحسوبية والمحاباة حتى بين الدول بعضها مع بعض ، علاوة على محاباة الأفراد والأشخاص.

فلخطورتها حذر منها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ففي صحيح البخاري ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ ، قَالَ أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ ، عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ).

فقد وضّح الحديث أنّ من فضّل أحدًا على أحد محاباة وهناك في المسلمين منْ هو خيرٌ منه، فقد ضيع الأمانة وخان الله وخان رسوله وخان المؤمنين ، يؤكد ذلك ماجاء في حديث آخر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ» (مستدرك الحاكم).

وهذا ما نراه للأسف الشديد في أيامنا هذه من افتقاد للعدالة وانتشار للمحسوبية ، حيث نجد الكثير من الناس لم يحصلوا على حقوقهم نظراً لعدم وجود المحسوبية لديهم مما أدى إلى الفرقة والبغضاء والأحقاد وإيغار الصدور بين أفراد المجتمع.

* كذلك من السلوكيات المرفوضة التي انتشرت في مجتمعاتنا (جريمة الرشوة) : فهي مرض اجتماعي خطير، وجريمة خطيرة، تؤصل وتؤسس مبدأ الظلم الفاحش فتحرم ذوى الكفاءة والنباهة الذين لا ظهر لهم ولا ظهير من نيل حقوقهم المشروعة وإعطائها لغيرهم ممن لا يستحقون ، وكل ذلك لأن لهم سندا ومعينا يخول لهم ما لا يستحقون.

فهي من أشدّ الأمراض الاجتماعية فتكًا بالأمم ، فهي تفتك بالمجتمع فتكًا ذريعًا، وتهدر أخلاق الأمة وكيانها وتعود عليها بالوبال والدمار في الأسر والمجتمعات والأفراد والمال في الدنيا ويوم العرض على الكبير المتعال ، فإذا فشت الرشوة في أمة من الأمم واسْتَمْرَأ الناس تعاطيَها فاعلم أن الضمائر قد ماتت ، وأن نظام الأمة قد قُوِّض ، فقد شدّد الشرع على آخذها ودافعها والساعي بينهما بأن جعلهم مطرودين من رحمة الله ، متعرضين لسخطه وغضبه، فَعنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ) يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا ، فما دخلت الرشوة عملًا إلا عاقته،

ولا مجتمعًا إلا أفسدته ، ولم يتوقف الأمر على مجرد النهي عنها وذمها ، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد اللعن الصريح الذي يعني الطرد من رحمة الله تعالى ، وما هذا إلا لأن الرشوة قتل لكفاءات المجتمع، ودعوة صريحة لهدم أساساته التي يقوم عليها ازدهاره وتقدمه .

والرشوة في الإسلام محرمة بأيةِ صورة كانت ، وبأي اسم سميت ، سواء أسميت هدية أم مكافأة ، فالأسماء لا تغير من الحقائق شيئًا ، والعبرة للحقائق والمعاني لا للألفاظ والمباني ، ولم يعبر القرآن الكريم عن الرشوة بلفظها صراحة ، لكنه ورد عن طريق النهى عن أكل أموال الناس بالباطل وهو الحرام عامة والرشوة خاصة ، قال تعالى:{ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ}[البقرة: ١٨٨] ، وقد جاءت في موضع آخر بلفظ السحت وهو الرشوة ، وذلك في معرض ذم أحبار اليهود ؛ لتناولهم إياها وتعاملهم بها ، قال تعالى: { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}[المائدة : ٤٢].

وفى الحديث عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ : فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ – اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا. (رواه البخاري).

ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن يستغل نفوذه ويستبيح لنفسه أن يأخذ ما لا يحل له أخذه وإن ألبسه أثوابا مستعارة كالهدية والوساطة وغير ذلك ، فهذا خيانة في الأمانة ، وسحت لا يبارك الله له فيه ولا في نفسه ولا في أولاده ولا في عائلته، فطالما أن العامل يأخذ ما يستحق وينال ما يحتاج ويحصل على ما يقضى حاجته ويلبى مطالبه فما أخذه بعد ذلك فليس من حقه .

ومن أضرار الرشوة بالمجتمع : أنها تهدم ركيزة أساسية هي أساس الملك وبها قامت الدنيا وعليها تقوم الدول ، ألا وهى قيمة العدل ، فالرشوة حرمت لأنها من أهم العوامل التي تؤثر في مجرى العدل بين الناس وتغير موازينه وتمهد للظلم فى الأحكام وإعطاء الحقوق لغير مستحقيها .

وهى كذلك إعانة للظالم على ظلمه ، وتفويت الحق على صاحبه ، وإهدار للحقوق، وتعطيل للمصالح ، وبها يقدم السفيه الخامل، ويبعد المجد العامل ، فكم ضَيّعتْ من حقوق ،

وأَهدرتْ من كرامة ، ورفعتْ من وضيع ، وأهانت من كريم ،وعطلت من طاقات ، فهي قضية خطيرة ينبغي التصدي لها بقوة والأخذ على متعاطيها بيد من حديد.

إن ما تعانيه المجتمعات اليوم من مشاكل مزمنة يعود إلى انتشار الوساطة والمحسوبية والرشوة في الحياة العامة ، وانعدام تكافؤ الفرص بين الناس، والتمييز على أسس مختلفة، مما يؤدي إلى تأخر المجتمع، وغياب العدالة الاجتماعية ، وبالتالي زيادة مشاعر الغيرة والحقد والعداء ويوم أن تدخل الوساطة ، أو المحسوبية ، أو الرشوة ، في حياة الناس فإن ذلك نذير شؤم، ومؤشر بلاء يدفع بالمجتمع نحو الخراب والدمار ويجعل الأمة في رأس قائمة الفساد .

وليعلم كل منا أنه في مجال عمله مسئول أمام الله عز وجل عن ما ولّاه ، فهو قاض في مجاله وتخصصه فليعط كل ذي حق حقه ، وليكن ناصرًا لكل مظلوم ، وسندًا لكل ضعيف

عن عامر بن الحصيب قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ قَاضِيَانِ فِي النَّارِ ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ ، قَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَقَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ " فكن من أهل الحق والعدل لتفوز برضوان الله والجنة .

إن العدالة الاجتماعية تقتضي المساواة بين الناس ليس في الحصول على الوظائف العامة فحسب وإنما في الحصول على المزايا الصحية والتعليمية والثقافية بلا أدنى مجاملة أو محاباة ،بحيث يشعر الناس جميعًا أنهم أمام القانون سواء ، وهو ما يجب على كل إنسان أن يقوم به ويتقي الله فيه ، فالقيام بذلك على الوجه الأكمل يعد واجبًا شرعيًا ووطنيًا في آنٍ واحد .